

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾¹

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

فَدَعْشَانَا ظِلُّ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَنَحْنُ كَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَنَشْهَدُ جَوْهَ الرَّحِيمِ ابْتِغَاءَ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ. وَفِي هَذَا الْمَوْسِمِ الَّذِي يُبَشِّرُنَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَرْحَمَةِ وَالْعَيْقِ مِنَ النَّارِ أَهْدَى لَنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ. شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهُ ابْتَدَأَ فِيهِ نُزُولُ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ إِكْمَالًا وَخَتَمَ لِعَهْدِنَا الْقَدِيمِ مَعَ خَالِقِنَا تَعَالَى فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾² وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُونَ فُرْصَةً عَظِيمَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِذِكْرِ وَعَدِهِمْ لِلَّهِ، وَتَجْدِيدِ عَهْدِهِمْ مَعَهُ، وَالْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ لِذَلِكَ. وَإِنَّ قُدُوتَنَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِكْتَارِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَاصَّةً. وَكَانَ غَايَةً مُقَابَلَتِهِ مَعَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْيَاءَ رَمَضَانَ الشَّرِيفِ وَفَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ. وَكَذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَبِرَ شَهْرَ رَمَضَانَ كَفُرْصَةٍ لِإِكْتَارِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَدْبِيرِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ. فَإِنَّهُ مُقْتَضَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِنَا مَعَ اللَّهِ. وَهَكَذَا نَرْجُو الْحُصُولَ عَلَى زِيَادَةٍ مِنَ التَّقْوَى نَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الصِّيَامِ كَذَلِكَ. وَإِنَّمَا فُرِضَتْ عَلَيْنَا عِبَادَةُ الصِّيَامِ فِي رَمَضَانَ لِتَحْصِيلِ التَّقْوَى. فَإِنَّهُ عِبَادَةُ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ. وَإِنَّ الصِّيَامَ تَحْتَوِي حِكْمًا لَا تُحْصَى. وَلِذَلِكَ فُرِضَ عَلَى مَنْ قَبَلْنَا كَذَلِكَ.

وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى الصِّيَامِ مُجَرَّدَ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُنْفَطِرَاتِ بِنِيَّةِ الْعِبَادَةِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. بَلْ هُوَ تَرْبِيَةُ النَّفْسِ. فَإِنَّ الَّذِي يُمَسِّكُ نَفْسَهُ عَنِ لُقْمَةِ خُبْزٍ حَلَالَةٍ وَشُرْبَةِ مَاءٍ وَهُمَا مُحَرَّمَةٌ لَوْ قَتَّ مُحَدَّدٍ أَرْجَى أَنْ يُمَسِّكَ نَفْسَهُ عَمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ أَبَدِيًّا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ. كَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعِدُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِصَوْمِهِمْ أَنْ: "اللَّهُمَّ! لَا حُكْمَ فِي حَيَاتِي إِلَّا حُكْمَكَ. أَنْتَ تُحِلُّ وَتُحَرِّمُ. أُحِلُّ مَا أَحَلَلْتَ وَأُحَرِّمُ مَا حَرَّمْتَ." هَكَذَا يَعِدُ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَنْ يَأْكُلَ وَلَنْ يَشْرَبَ مِنَ الْحَرَامِ وَأَنَّهُ لَنْ يَقْرَبَ الزَّانَا. وَيَعِدُ أَنَّهُ سَيَتَّبِعُ الصِّيَامَ الَّذِي هُوَ إِمْسَاكٌ عَنِ الْحَلَالِ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْحَرَامِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، نَعْلَمُ أَنَّ الصَّوْمَ مُطَهَّرٌ لِلْجَسَدِ. إِخْوَتِي الْأَعْزَاءَ،

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الْمُشَارَكَةِ كَذَلِكَ. الشَّهْرُ مَعَ صِيَامِهِ تُعَلَّمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُشَارَكَةَ. صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ الَّتِي نُؤَدِّيهَا جَمَاعَةً، وَصَدَقَةُ الْفِطْرِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَسُرَادِقَاتُ الْإِفْطَارِ، وَدَعْوَتُنَا لِلْإِفْطَارِ وَالسَّحُورِ، وَإِنْفَاقُنَا الْمَعُونَاتِ لِلْمُحْتَاجِينَ مِنْ مَظَاهِيرِ هَذِهِ الْمُشَارَكَةِ. مِنْ أَحْسَنِ عَادَاتِنَا لِلْمُشَارَكَةِ فَتَحْنَا بِيُوتُنَا وَمَوَائِدَنَا لِإِخْوَانِنَا الصَّائِمِينَ وَإِشْرَاكُنَا لَهُمْ فِي سُرُورِ عِبَادَاتِنَا. نَبِيْنَا ﷺ الَّذِي نَصَحَنَا بِإِطْعَامِ الصَّائِمِينَ، أَمَرَنَا بِالْمُشَارَكَةِ وَالتَّعَاوُنِ. رِعَايَةَ الْمَسَاكِينِ، وَدَفْعَ احْتِيَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ، وَالْعِنَايَةَ بِمَشَاكِلِ الْمُضْطَرِّينَ، وَالمَسْحَ عَلَى رُؤُوسِ الْيَتَامَى، وَزِيَارَةَ مَنْ يَعِيشُ بِوَحْدِهِ، كُلُّ ذَلِكَ عِدَّةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ. حَتَّى وَعَدَ النَّبِيُّ كَافِلَ الْيَتِيمِ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ. فَشَهْرُ رَمَضَانَ يُكْرِمُنَا بِإِمْكَانِ أَدَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا لِنَنَالَ بِهَا رِضَا اللَّهِ تَعَالَى.

تَقَبَّلَ اللَّهُ صَالِحَ أَعْمَالِنَا - مُنْفَرِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً.

بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.